فصل تمهيدي

أبعاد الجدل وأطرافه حول الجزر

فاجأت الحكومة المصرية المصريين والعالم ماعدا السعودية وإسرائيل والولايات المتحدة يوم ٩ أبريل ٢٠١٦ وهو ذكرى سقوط بغداد عام ٢٠٠٣ بالإعلان عن أن مصر والسعودية أبرمتا عشرات الاتفاقيات بمناسبة زيارة الملك سلمان بن عبد العزيز لمصر، ومن بينها اتفاقية ترسيم الحدود البحرية فى خليج العقبة وأن جزيرتى تيران وصنافير أصبحتا فى المياه الإقليمية السعودية. ثم توالت المفاجأت بأخبار وتصريحات رسمية أبرزها لقاء الرئيس السيسى مع عدد من الشخصيات المنتقاة أطلق عليها لقاء الأسرة المصرية بأنه هو الذى فكر منذ عزل د. محمد مرسى فى أن للسعودية دينا كبيرا هو الجزيرتان، فضلا عما تقدمه لنظامه من دعم سياسى ومالى واقتصادى، وأن الاستثمارات السعودية بعد الجزر سوف تتسع وأن جسر الملك سلمان سوف يؤدى إلى خروج مصر من عنق الزجاجة مما أعطى انطباعا بأن الجزر مقابل الدعم والاستثمار، وقال البعض أن الجزر تم التنازل عنها بالبيع أو الايجار بسبب الأزمة الاقتصادية الخانقة، وقال بعضهم أن الجزر أعيدت إلى أصحابها بعد انتهاء فترة الإعارة، وقال آخرون أن الجزر كانت فى حماية مصر، فلما قويت السعودية صار بوسعها استرداد الجزر وهى قادرة على حمايتها بعد أن سلمتها لمصر خوفا من التهام إسرائيل لها بعد استيلائها على أم الرشراش وحاجتها إلى الجزر لتتمكن من المرور فى خليج العقبة إلى البحر الأحمر دون مضايقات.

ومما تكتشف أيضا أن هذه الصفقة رباعية وليست ثنائية وأن المباحثات مع إسرائيل والولايات المتحدة كانت جارية منذ عدة أشهر خاصة وأن

السعودية سوف تحل محل مصر فى التزام حرية الملاحة فى تيران وهو الالتزام الوارد فى الملحق الأول لمعاهدة السلام الذى وضع تيران فى المنطقة ج، كما أن مصر التزمت فى المعاهدة نفسها بحرية الملاحة الإسرائيلية فى قناة السويس وفى خليج العقبة الذى صار باتفاق إسرائيلي مصرى مياها دولية لاسلطان لأحد عليه، فتعززت دوليته بعد قبول السعودية أيضا،بعد أن كان بحرا داخليا مصريا قبل ظهور الأردن عام ١٩٢١ والسعودية عام ١٩٣٢ وإسرائيل عام ١٩٤٨ وتحويل أم الرشراش إلى إيلات عام ١٩٥٢.

هذه الصفقة أدت إلى انقسام المجتمع المصري، الفريق الأكبر الذى فوجئ وصدم من الصفقة وبينهم الكثير من مؤيدى السيسى وظهرت جبهة مصر ليست للبيع، والفريق الآخر هو السلطة بكل أذرعها والملتفون حولها ولهم مصالحهم وارتباطاتهم وهم الجزء الأكبر من النخب المصرية.

وبدأ الشقاق بين الطرفين، الفريق المصرى أصر على مصرية الجزر والفريق الآخر دافع عن سعودية الجزر ثم ظهر السفير السعودى فى الإعلام المصرى يبرئ ساحة السعودية من هذا الشقاق وبأنها لم تطالب بشئ وأن السيسى هو الذى سلمها ما اعتبره النظام وثائق تثبت ملكية السعودية للجزر.

وبالطبع فإن الإعلام الموالى نشط فى الترويح لسعودية الجزر ومعه أجهزة الدولة جميعا، واتخذ الأمن موقفا صارما ضد مصرية الجزر والمنادين بها وكان موقفه من منع المظاهرات ثم فضها واعتقال المشاركين مشهودا يوم ٢٥ أبريل بمناسبة عيد تحرير سيناء، وكأن اقتطاع جزء للسعودية من سيناء هو حلاوة

التحرير. وكأن الحكومة تريد أن تفعل ما تشاء، ولاتريد الشعب أن يعبر حتى عن صدمته ومشاعره، ولكن الكبت الأمنى وتأميم السلطة للمجال العام لايمكن أن ينهى القضية. ولذلك أردت أن أضع النقاط على الحروف بطريقة علمية وقد لا تهم هذه الدراسة الجيل الحالى على أساس أن هذه الجزر تقيم عليها القوات الدولية التى نشأت لرقابة موقف مصر من معاهدة السلام، ولكن تظل السيادة على الجزر لمصر بقطع النظر عن ظروف اللحظة.فسوف تحتاجها الأجيال فى المستقبل حتى يعيدوا الأمور إلى نصابها وليعرفوا أن أجدادهم لم يفرطوا فى أرضهم وغفر الله لمن تسبب فيها وداس على ثوابت الأمة وأغفل شعبها ونكل بالدستور الذى وضعه رجاله خاصة المادة ١٥١ منه.

وأريد أن أسجل للأجيال القادمة أنه لولا أن الحكومة أعلنت موقفها وحذرت المخالفين من الخروج على هذا الموقف وأطلقت أجنحتها فى الدين والإعلام والسياسة وذراعها فى البرلمان لالصاق أحط الصفات بالخيانة على الوطنيين لكانت مصر كلها فى الميادين، لكن لايمكن اعتقال الحق في قلوب الملايين وضمائرهم طويلا.

الظروف التى تم فيها الإعلان عن الصفقة:

تم الإعلان عن الصفقة في ظروف معينة وبشكل مفاجئ مما يفسر ردود الفعل الغاضبة لإغفال الشعب والمستنكر لمحاولة تبرير سعودية الجزر من جانب مجلس الوزراء المصري في ظل صمت السعودية وذلك علي تفصيل لازم في هذه القضية خاصة وان عددا ممن انتقدوا الموقف الرسمي ركزوا علي مفاجأة لكنهم سلموا بصحة الموقف في جوهره وهو الفريق الذي يقوم

بوظيفة مهمة معروفة في مثل هذا النوع من النظم تاريخيا.

أولا: عوامل تتعلق بعلاقة نظام يوليو بالسعودية والإخوان المسلمين والحديث المتواتر عن توسط السعودية للمصالحة بين الإخوان والنظام بصرف النظر عن صحة هذا الحديث. ومجاهرة السعودية والإمارات بدعم مصر (النظام) وأن مصر بغير هذا الدعم كان يمكن أن تسقط وأن الجزر ارتبطت بتصريحات المسؤولين السعوديين حول المزايا الاقتصادية الاستثمارية فى مصر. وقد ارتبطت زيارة الملك بحديث روجه البعض عن تجدد مساعى الوساطة مع الإخوان وهو ما نفاه وزير الخارجية.

ثانيا: عوامل تتعلق بنظام يوليو وأهمها قضية ريجينى والأزمات الداخلية وتصاعد الحديث عن العلاقة بين الوعود والانجاز الفعلى، وقضية الاولويات والاقتراض والديون وتدهور القيمة الشرائية للجنيه.

وأخيرا : أريد أن أؤكد أن جزيرتى تيران وصنافير مصرية فى التاريخ والجغرافيا والقانون والوجدان وليس بالكتابات ووجهات النظر بل وبممارسة السيادة عليهما دون انقطاع، والتضحية فى سبيلهما بدماء المصريين ومستقبل مصر كما سنرى فى موقع الجزيرتين على خريطة الصراع المصرى الإسرائيلى، والعلاقات المصرية السعودية وتهافت مزاعم السلطة فى مصر ومحاولتها المستميتة إثارة الشك حول مصرية الجزر بل وانتزاعها من مصداقيتها إلى المجهول، وواثق أن الجزر مصرية الموقع والهوى ودماء الشهداء وقلعة الدفاع عن مصر فى هذه المنطقة. وللتفريط فى هذه الجزر تداعيات بالغة الخطر على مصر.

ولا يفوتنى فى النهاية أن أشكر المملكة العربية السعودية أنها لم تقحم نفسها فى هذه الصفقة التى روجت لها الحكومة فى مصر وأغضب شعبه ولا تستحق السعودية من الشعب المصرى إلا الاحترام على هذا الموقف النبيل والذى سوف نفصله فى هذه الدراسة ولكن السلطة فى مصر هى التى أجهدت نفسها فى صناعة صنم الجزر الذى تدحضه حقيقة مصريتها.

هذه شهادة للتاريخ فى وجه الحملة المنظمة من حواريي نظرية سعودية الجزر حتى لا ينفرد بكتابة التاريخ للأجيال القادمة.

إن ملايين من شباب مصر قرأوا تاريخها الوطني على غير حقيقته فصور لهم الأبطال فى تاريخها تائهين وراء سحب من الشك والغموض بينما وضعت هالات التقديس والإكبار من حول الذين خانوا كفاحها.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

انا واثق أن السلطة في مصر بين نارين وهما أن من يدافعون عن مصرية الجزر وطنيون وأن من يدافعون عن سعوديتها منافقون ولكنهم سلاحها في المعركة المعلنة التي تريد كسبها لتعلقها بمجمل موقفها ولاتملك الشجاعة للتراجع الا في حالتين الاولي ان ينفض شهر العسل مع السعودية والثانية أن ينتصر الضمير الوطني علي مزايا اللحظة أو تسجلها المذكرات ولكن هل يعلم الاتباع ايضا ان الجزر مصرية وانهم مرغمون علي القيام بهذا الدور ام انهم يثقون انها سعودية استمرارا لثقتهم في السلطة. ورغم كل ذلك من حق الاجيال ومصر ان تعرف ما اعتقده يقينا بالدراسة والتمحيص لعل أنوار الحق توقظ الغافلين.